العـــراق

(إلى سهيل سامي نادر)

. عـمـران القـيـسي ❖ .

أحيانًا أحلمُ أنّ المتحفَ محشوٌّ بالتاريخِ،
وأنّ آشورَ الذي يَحْلمُ بالمُلْكِ يطرِّزُ أعضاءَه بالإشارات،
وأنّ الليلَ الذي يركضُ في كل الاتجاهاتِ ضائعٌ،
وأن لا شيء في الواقع يستحقّ شيئًا،
وأنّني حين جالدتُ روحي
تجنّيتُ كثيرًا... وكثيرًا.. حتّى أُتخمتُ!
أحيانًا للتخمة بطنٌ يحملُ أصدافًا، أو بحرٌ لا يحمل ماءً.
مِنْ أين يجيء القادمُ من غير مكانٍ؟
مِنْ أين سيدخلُ مختلسُ اللحظاتِ؟
كلُّ الكلماتِ كلامٌ في الصمتِ
فلماذا نشلحُ عنا البرقعَ رغم السترِ،
ورغم مجيء الصيفِ العاشر بعدَ الصمتْ؟
ولماذا نهربُ كي نهرب؟
أو نرجعُ كي نرجع؟
أحيانًا لا أرجعُ حين أعود،
لا أحلم بالمُدُنِ الحبلى،
لا أنظر من شُبّاكي صوبَ براري اللّه؛
أفتح شبّاكًا في قلبي.

أرنو صوبَ الماضي والحاضر مذهولا..
هل كان القلبُ مراحًا للخطإِ المتكرّر؟
هل آنستُ هزيمةَ روحي كي أعشقَ ذاتي؟
لستُ سوى شيءٍ يَحْلم بالشيء.
لكنْ...
كيف نأنس والحضرةُ أجناسٌ لا تؤنس غيرَ الوحشة،
والرجلُ الدائرُ حول أصابعه يَهْبط صوبَ الصمت؟
مَنْ خَثَّرَ هذا الزمنَ الرائبَ بالشكّ؟
عمران، لا تحلمْ أبعدَ مِنْ حلمك
لا تحلمْ أنْ تطلقَ صرخَتَك الأخرى صوب الريح؛
ما عادت حتى الريحُ تسافر صوبَ البحر؛
ثَقلَتْ كلُّ الأشياء، صار العمرُ حصاةً في القاع!
أحيانًا تحلم أنّكَ كالمتحفِ محشوٌّ بالتاريخ
أو تشعر أنّ هذا الأشور سرابٌ في الماضي
والحاضرَ وحشٌ مطلق..
والمطلقَ يعني الآن المسمار،
وعيٌ لا يذهب صوبَ الوعي،
ربٌّ لا يَعْبده المخلوقون.

❖❖

❖ - فنّان تشكيلي وشاعر من العراق.

أُدركُ أنّي أعرف كيف أفكّر.. لكنْ،

حتى الخطوةُ نحو الأفكارِ ستذهب خاويةً من فكرتِها.

كيف أقرّر أن أرحلَ صوب الآتي؟

وأنا...

ألمحُ جنديّاً يحشو بارودًا في الرأس،

آخرَ لا يعرف كيف يموت؛

ألمح أشلاءً تتجمّع كالرغوة

ألمح حربًا تعزف بتهوڤن أو موتزارت

ألمح كلَّ الأضداد تفورُ وتهدأُ ثانيةً

لكنْ... لا ألمحُ غيري يَبْعد عنّي الآن!

صار الجسدُ الغاربُ جسرًا

صرتُ الماءَ الراكدَ تحت الجسر.

وحدي أحلم أحيانًا

أغسل... أغسل كلَّ الأدران..

أعرف أشياء لا تحكي في الصيف

وأمازح كلَّ الألوان.

❖ ❖

للقُبْلة جرَّح سيفُ الفارس نصفَ الأفواه

فكّر أنّ الزمنَ القادم..

طفلٌ يولد بين الطاعةِ والرفض،

انتبه الليلةَ للماضي

يسحُر كونٌ أحدب من ثقلِ اللّه، أو من عسفِ الفيزياء.

ماذا يفعل هذا الذاهبُ صوبَ السور؟

أفكّر: ماذا يصنع جيشُ الأسماءِ المنسيّةِ بالساعة؟

قال الراوي:

أزمنةٌ تتلوها أيامٌ خرقاء

يَحْصد فيها القاتلُ زرعَ الخنجر،

يَملك مَنْ لا يملك روحًا للمتعة،

يقتات الحبُّ على الأشلاء

وتذهلُ سيدةُ القصر من الأزهار

الزهرةُ تصبح امرأةً من شوك

مَنْ يحمل عوسجةً في القلب ويمضي؟

.. في «النقلة» شرحٌ للقبر وأهوال الموت، وشرحٌ آخر في «المنقول» عن الغفلةِ والحبِّ. ولكن بين كتاب النقلة والمنقول، شرحٌ للمعنى الكامن في الوصفِ:

هناك نساءٌ لا شيء يلامسُ أطرافَ الظلِّ الساقطِ منهنّ.. هناك رجالٌ لا يفقه واحدُهم فحوى السرّ، كونٌ لا يدرك كيف يكونُ الكائنُ كونيّاً...

صمتٌ تحكيه لغاتٌ شتّى، نغلٌ مولودٌ في وحشةِ تابوت، وطنٌ باعوه لأوغادِ الأرض.. وطنٌ باعوه...

هل تحمل عوسجةً في القلبِ؟
سأل الراوي جيشَ اللّه الهارب
أمسَكَ قائدُهم إبرتَه
خاط الجرحَ على الجرح... وأبقى
كفنَ الموتِ بعيداً.
مَنْ يجرؤ أن ينسى الإبرةَ في الجرح؟
مَنْ يلبسَ هذا الكفنَ المفتوق؟
مَنْ يدفنُ قبّرةً في الرمل؟
وملحًا في الجرح؟
مَنْ غيركَ، يا وطنَ الصيف،
رئةٌ للنار..؟!

❖ ❖

يقول الجنين: إنّك لا تصلُ إلى صريحِ الحريّة
وعليكَ من حقيقةِ العبوديةِ بقية!...

الليلةَ لن يهدأ هذا النائمُ فوق السطح
زوجتُه ثلجٌ من نار
صار الصيف مشاعًا للجند،
وصار الرأس أتونًا تُشْعله الأقدارُ المرّة.
مَنْ عَفَّر ليلَ القرية؟
مَنْ أدخل هذي الأفكارَ الصعبةَ في الرأس؟
عيونٌ تَكْشف حتى العتمة!
وأصابع تمتدّ لتمسكَ مجرى الفخذين!
سلمان، لا تحلمْ بالعفّةِ بعدَ اليوم
والحكمةُ أن تروي الأشياءَ كما تُروى.. أو تهملَ ما قد صار.
لا تفتحْ عينيْكَ كثيرًا.
لا تسمعْ غيرَ الصوتِ القادمِ من جوفِ النسيانِ إليك
مات النائمُ بعد النوم...
.. مَنْ يوقظُ هذا الميتَ بعد اليوم؟
قام القائمُ من موته..
.. حدثٌ ذاتي بين اللّه وذاته
أين النخلةُ كي نعرف سرَّ التّمرة في الجوعِ؟
نَعرف أنّك مقتولٌ، مقتولٌ، مقتول...
وطنٌ نعرفُ قاتلَه، نصادق خنجرَه
نَخْجل أن ننظرَ في مرآةِ الوجهِ كثيرًا.
آشورٌ يحلم بالريح
آشور لا يحلم في وطنٍ تسكنُه الغيلان
تصرخ امرأةُ التالة:
مَنْ يذهب ثانيةً صوبَ الموت؟
عاهرةُ الغابةِ أمْ انكيدو؟
لا شيء يجيب...
الليلةَ نرتجلُ الأحزان

نَزْرع في العين دبابيس،
نَزْرع ما بين الفخذيْن نخيلاً ومشانق
نزرع أحزانًا في السبخة،
نزرع كلَّ الأحزان، نَشْطرها اثنين، نتقاسم شطريْها
نَلْعق ما يَسْقط فوق الجرح.
نبيع الصرخةَ كي نصمت، أو نمنح كلَّ الأشياء هباءً
نمزج ما بين الواصف والموصف، (نستوحش تحت الأرض).
لا شيء يجانس متعتَنا بالموت.
لا شيء يسيِّج أرضَكِ يا بابل.
الشاعرُ مطعونٌ بالصمت، لم يكتب مرثيّتَه المرّةَ بعد اليوم
قال الراوي: بابل لن تبذر شعرًا بعد الآن
لن تَحْصد هذا الصيفَ جناها
سبخت أرضُكَ يا جرح
آشور لا يحلم في وطن يسكن صمتَه.
مات الراوي، قصد الشاعر أوردة الشعر
لا شيء يجيب... لا شيء يجيب... لا شيء يجيب.
والطلقةُ فاصلةٌ بين السطرين..
مَنْ يكتب هذا السطرَ الأولَ للنهر؟
يحوِّل كلَّ الأسماءِ رمادًا،
يوقظ حمرينَ النائم.
مَنْ ينثر هذا «الصيهودَ» وباءً ضدّ الطوفان؟
في «الفضل» يبيع الناسُ بقايا الأشياء، ويذهب بعضُ الناس لرؤيةِ بعضِ الأوهام في المقهى، تتحادث كلُّ الأشباه
لكلِّ الأشباه، يتحوّل جوفُ المقهى بيتًا،
ثم يصير دخانًا، أو جزءًا من وجدان.
وقف القادمُ حيث الطائرُ للذبح، قالت
امرأةُ السائس: ما أجملَ هذا الوجهَ الأحمرَ كالرّمان!
كانت
آخرَ ما قالته المرأةُ في السوق، مزّقها الشيءُ الطالع
من صُلبِ الرمّان، ماتت امرأةُ السائس
لم تعرف كيف يموت المائتُ في اللحظة.

بيروت